

## رسالة ابن العميد إلى ابن بلكا: دراسة تداولية حجاجية

ناصر حسن يعقوب\*

Naser-yacoub@bau.edu.jo

حنان أحمد الحتملة\*\*

hanan\_hat@bau.edu.jo

تاريخ قبول البحث: 2024/5/2

تاريخ تقديم البحث: 2024/2/14

### ملخص

تقوم هذه الدراسة على مقاربة رسالة ابن العميد إلى ابن بلكا "مقاربة تداولية حجاجية" بوصفها خطاباً حاول مُبدعه (المحاجج) التأثير بمتلقيه (السامع/القارئ)؛ لتعديل موقفه ورأيه وسلوكه تجاه موضوع ما في وقتٍ كانا فيه (الإيتوس/ابن العميد) و(الباتوس/ابن بلكا) على طرفي نقاش.

اعتمدت الدراسة المقاربة التداولية الحجاجية لكون النظرية الحجاجية من بين أهم نظريات التداولية التي تتطرق من البنى اللسانية إلى حياثات عديدة. وتحلّ الدراسة الخطاب (الرسالة) بتناول تقنيات المُحاجج (الإيتوس) وآلياته التي تهدف إلى إذعان المُخاطب (الباتوس) للأقوال المطروحة، وتسليمها بها إلى درجة تبعه على الانقياد للأمر وإنجاز المطلوب.

وقد كشفت الدراسة أنَّ رسالة ابن العميد إلى ابن بلكا شَكَلت خطاباً حجاجياً متقوقاً، ارتفق من غرض الإفهام إلى التأثير فالإقناع الذي جعل (الباتوس/المُخاطب/ابن بلكا) يُذعن لما طرحة (الإيتوس/المُحاجج/ابن العميد) ويتحقق به إلى الدرجة التي جعلته يُسلِّم بالأمر وينصاع له فينجز المطلوب.

**الكلمات الدالة:** خطاب، بلاغة، مقاربة، حجاجية، تداولية.

\* أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

\*\* أستاذ مشارك، قسم العلوم الأساسية الإنسانية، كلية الحسن الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

**Ibn al-Ameed's Letter to Ibn Balka: A Deliberative Argumentative Study****Naser Hasan Yacoub\***

Naser-yacoub@bau.edu.jo

**Hanan Ahmad Al Hatamleh\*\***

hanan\_hat@bau.edu.jo

**Submission Date: 14/2/2024****Acceptance Date: 2/5/2024****Abstract**

This study intended to approach Ibn al-Ameed's Letter using the deliberative argumentative approach to that of Ibn Balka, considering it as a speech whose creator attempted to influence its recipient. This is conducted to change his position, opinion, and behavior towards a subject at a time when (Aetus/Ibn al-Amid) and (Al-Batus/Ibn Balka) were on opposite sides.

The study adopted the pragmatic-argumentative approach for being a comprehensive framework and one of the most important theories of pragmatics that proceed from linguistic structures to reasoning. The study analyzes discourse (the message) by examining the techniques and mechanisms of the arguer (Etos) that aim to make the addressee (Batos) submit to the statements proposed and accept them to a degree that encourages him or her to submit to the matter and accomplish what is required.

The study revealed that Ibn al-Ameed's Letter constituted a superior argumentative speech to Ibn Balka that rose from the purpose of understanding to the level of influence persuading (Al-Batus/the addressee/Ibn Balka) submit to what was put forward by (Al-Itos/Al-Muhajaj/Ibn al-Ameed) and trust him to the level that made him submit to the matter and comply with it to achieve what was intended.

**Keywords:** speech, rhetoric, approach, argumentation, pragmatics.

---

\* Professor, Department of Arabic Language, Irbid University College, Al-Balqa Applied University, Jordan.

\*\* Associate Professor, Department of Basic Human Sciences, Al Huson University College, Al-Balqa Applied University, Jordan.

## المقدمة

لقد شَكَلَ ظهور كتاب "مصنف في الحجاج" لمؤلفيه بيرلمان وتيتيكا (Pereelman & Titica) فتحاً جديداً في عالم الخطابة الجديدة. وحينما صنفا الحجاج إلى ضربين، كان الضرب الثاني هو الأوسع؛ لأنَّه يهتم بدراسة التقنيات البينية التي تسمح بإذعان المتلقي، وغرضه دعْدَغَة عواطف السامعين وإثارتهم، ومن ثم انغرست نظرية الحجاج في أديمٍ لساني تداولي بحث<sup>(1)</sup>.

وبما أنَّ بيرلمان (Perelman) يُعرف الحجاج باعتباره مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية، فإنَّ ديكرو وأنسكومبر (Ducrot & Anscombe) يريان أنَّ الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججاً تدعم وتثبت بعضها الآخر<sup>(2)</sup>. فيكون على المتلقي استنتاج الدلالات لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل اعتماداً على بنيتها اللغوية فحسب.

وبذلك نستطيع القول إنَّ التداولية تدرس مجموعة الأساليب والتقنيات اللغوية في الخطاب ضمن بعدها الحجاجي. كما أنها لا تحصر نفسها في البنية اللغوية فحسب، بل تفتح على المرجع (الإحالة) الخارج، لإجلاء أبعاد دلالية أخرى. ولعل البلاغة العربية القديمة قد لامست هذا البعد التداولي مثل ما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر في تعليم الخطابة التي أوردها الجاحظ في كتابة البيان والتبيين، وفيها " وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال،...".<sup>(3)</sup> إنَّ ما ذكره الجاحظ يتمثل في تأسيس اللغة على المنفعة من خلال مراعاة المقام ودواعي الاستشهاد ومواضعه، وتخير الألفاظ، وهذا بدوره يمثل إبرازاً للبعد التداولي للخطاب. كما أنَّه يتفق مع مبادئ التخاطب والمحادثة التي جمعها الفيلسوف الأمريكي هيربرت (Herbert) في قاعدة التعاون، وتترقى قاعدة التعاون إلى مجموعة من المبادئ منها:

1. مبدأ الكل: تكلم على قدر الحاجة، وتجنب الاستقصاء المفصل والإطناب والاستطراد.

(1) بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية، بيت الحكم العلمية، الجزائر، 2009، ص 107.

(2) أبا علال، مولود، اللسانيات التداولية ونظام الخطابة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليباس، سيدني بلعباس، الجزائر، 2017، ص 51.

(3) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت 255هـ/869م)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ت.)، ج 1، ص 136.

2. مبدأ الكيف: لا تقل ما تعتقد كذبه، ولا تقل ما يعوزك فيه دليل (مبدأ الصدق).
3. الأسلوب: تجنب إبهام التعبير، وتجنب اللبس، وأوجز، وليكن كلامك مرتباً.
4. مبدأ المناسبة: مراعاة مقتضى الحال<sup>(1)</sup>.

حين ينظر الاتجاه التداولي إلى النص نظرة حجاجية، فإنه يرى أنه ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف إلى تغيير وضع المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية، وتغيير نظام معتقداته أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية أفعل ولا تفعل<sup>(2)</sup>.

ظهرت التداوليات التحليلية في سنوات الخمسين من القرن العشرين مع أوستن (J.L.Austin) في كتابه "نظريّة أفعال الكلام" سنة 1962، وسورل (J.R.Searle) في كتابه "أفعال اللغة" سنة 1969. وقد ركزت في تحليلها للخطاب على ثلاثة عناصر رئيسية: ( فعل القول، الفعل المتضمن في القول، الفعل الناتج عن القول)<sup>(3)</sup>. فالدراسة بدورها تستفيد من بعض المقولات وتطبيقاتها، ولكنها لا تلتزم بمقاربة تداولية صرفة وفق منهجها، وإنما تعمد إلى مقاربة تداولية حجاجية عبر تحليل النص (الرسالة) تحليلًا تداولياً بدراسة تقنيات الخطاب المتعددة (اللوجوس) وأساليبه الحجاجية. كما تتناول المركز الأول في الخطاب وهو الأيتوس (المحاجج أو المتكلم)، إضافة إلى تناولها للمرتكز الثالث للخطاب وهو الباتوس (المتلقي أو المخاطب).

لم يتم الوضع على دراسة مشابهة للدراسة الحالية لرسالة ابن العميد لابن بلكا باستثناء دراسة جعفر لعزيز الذي وجد أن "القراءة البلاغية العامة" هي المدخل المناسب لدراستها، وذلك بمقاربتها حجاجياً في جانبها الأسلوبي<sup>(4)</sup>. وتنماز الدراسة الحالية بسبرها الرسالة تداولياً اهتماماً بمن يتكلم وإلى من يتكلم، وما المعنى المحمول، وبأي الألفاظ والأساليب التي تواءمت مع المعنى فاتسقت، وتأخّت مع الهدف فائتلت. فدرست الفعل الكلامي بوصفه لب الدراسة التداولية، والحجاج بوصفه من أهم الاستراتيجيات التداولية التي تُسعف المُتكلّم/المُحاجج ليحقق هدفاً منشوداً وغريضاً مقصوداً عبر البنى اللغوية، وما الكيفية التي سلكها

(1) حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، في Katabpedia.com، ص 15.

(2) حمداوي، جميل، نظريات الحجاج، في Bilarabiya.net/19660.html، ص 52.

(3) حمداوي، نظريات الحجاج، ص 52.

(4) ينظر: لعزيز، جعفر، "تحليل الرسالة السياسية من ابن العميد إلى ابن بلكا: مقاربة بلاغية حجاجية"، أوراق نما، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ص 2، في <https://nama-center.com>

ابن العميد لفهم الفعل الكلامي وإنتجه في سياقٍ تفاعليٍ أفضى إلى سياقٍ اقتصادي وقف أمامه المُخاطب وقد أُسقط في يده، فطأطأً مُعترفاً، وعاد معذراً، إن رسالةً في بعض فقرات يبُدُوها ابن العميد مباغتاً في هجومه، بغير تحيةٍ أو سلام، تُنطَق بـلسان حال ابن بلكاً فيُعرِيه أمام نفسه مضطرباً حائراً متربداً بين حالٍ مضى وحالٍ حلَّ، انعكس على ابن العميد نفسه فصاغه كتاباً رد ابن بلكاً طائعاً مطاوعاً، وخاضعاً مُعترفاً، ومقرًا منقاداً، بعد أن كان عاصياً متربداً، وثائراً معارضًا، ومخالفًا مبائناً.

### مفهوم المحاجج (الإيتوس) / حجاج السلطة وسلطة الحجاج

الإيتوس يعني المحاجج أو المتكلم أو المتكلف أو المرسل، وهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب فهو الصانع له والموجه ومحرك عملية التخاطب<sup>(1)</sup>، وترتبط به مجموعة الفضائل الأخلاقية والطبع الخاصة، كما يمكن أن تقرن به الكفاية الخطابية<sup>(2)</sup>. فحينما يتحدث أرسطو عن أخلاق القائل، وهو ما يمكن أن نسميه بحجة الإيتوس (Ethos)، فإنه يذكر " خاصيته الأخلاقية باعتبارها وسيلة إقناعيه، إذا ما استطاع خطابه الإيحاء بالثقة إلى مخاطبيه، وبما أن الإنسان اعتاد على الوثوق بالآخر بخصوص القضايا الإشكالية والحقيقة، فإن هذه الثقة يلزم أن تكون وليدة الخطاب ذاته، وليس متأتية من أحكام القيمة المسندة إليه"<sup>(3)</sup>.

إن الإدراك الأرسطي لبلاغة قائمة على قواعد منظمة وموجهة لإيقاع التأثير، تجعل تنظيره للإيتوس مستخلصاً من بنية الخطاب الداخلية وليس من خارجها، وبمعنى آخر استشعار المتنقي بالثقة ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم، لا عن طريق ما يظنه الناس عن خلقه قبل أن يتكلم<sup>(4)</sup>.

والبلاغة العربية القديمة تسير في فلك التصور السابق، ففي صدد الكلام على صناعة الكتابة جاء في البيان والتبيين عن "الصحيفة الهندية"، "أن أول البلاغة، اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجواح، متحيز الألفاظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق،

(1) الحنوش، أحمد، *الحجاج في أدب الوفادات عند العرب في العصر الأموي*، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، 2021، ص 70.

(2) الدهري، أمينة، *الحجاج وبناء الخطاب*، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2011، ص 92.

(3) الدهري، *الحجاج وبناء الخطاب*، ص 93.

(4) العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ط 2، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، 2002، ص 25.

ويكون في قواه التصرف في كل طبقة<sup>(1)</sup>. وهذا فيه مجموعة من الخصائص الذاتية (رابط الجأش، ساكن الجوارح) بما هي ضبط للانفعالات النفسية، لا تخرج به عن طور الاعتدال، ولا يحتد به عن نهج التصون في الكلام.

لقد ركز أرسطو والبلاغة العربية القديمة على صفات الخطيب فيما يخص بنية الخطاب الداخلية. إلا أننا نميل إلى بعض كتاب البلاغة، مثل بورك (Burk) الذي ألح فيها على شخصية الخطيب، إذ ركز على قيمه الأخلاقية وعدها عاملا مساعداً على إذعان الجمهور لحجاجه<sup>(2)</sup>.

ولاشك بأن مجموعة القيم الأخلاقية التي تمتاز بها الذات المتكلمة قبل أن تتكلم تشكل مبعث ثقة للجمهور، وتصبح عاملاً مساعداً على استشعار المتلقى بالثقة المنصهرة في الخطاب ذاته.

يمتاز ابن العميد- صاحب الرسالة- بمجموعة من القيم الأخلاقية، ترتبط بشخصه، فكان كريماً ممدوحاً، وكان من محاسن الدنيا، حسن خلق ولين عشرة وشجاعة تامة، وبه تخرج عضد الدولة البويهي، ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء<sup>(3)</sup>.

وهذه القيم الأخلاقية التي امتاز بها ابن العميد الذي عاش في القرن الرابع الهجري من العصر العباسي، كانت في فترة شهدت اضطراباً سياسياً، تمثل بانقسام الدولة إلى إمارات مصغرة، وما رافق هذه المرحلة من مؤامرات ودسائس وخبث وغير ذلك. ولذلك فإن هذه القيم الأخلاقية للذات المتكلمة (ابن العميد) تعد رافداً مساعداً لبث الثقة في نفس المتلقى للرسالة (ابن بلكا).

(1) الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج 1، ص 92.

(2) ينظر: صولة، عبد الله ، في نظرية الحجاج، مسكياني للنشر والتوزيع، تونس، 2011، ص 77.

(3) ينظر: الزركلي، خير الدين بن علي بن محمود (ت 1396هـ/1976م)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط 17، 2007، ج 6، ص 98. وابن العميد (360هـ / 970م) - كما عرف به الزركلي في الصفحة ذاتها- هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد بن محمد: وزير، من أئمة الكتاب. كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، لقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله. قال الشاعري: بدأ الكتابة بعد الحميد وختمت بابن العميد. ولـي الوزارة لركن الدولة البويهي. وكان حسن السياسة خيراً بتبيير الملك، قصده جماعة من الشعراء فأجازهم، ومدحه المتتبـي فوهـبـه ثلاثة آلاف دينار. له مجموع رسائل في مجلد ضخم، وشعر رقيق. قال ابن الأثير: كان أبو الفضل من محاسن الدنيا، اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من حسن التدبير وسياسة الملك والكتابة التي أتـيـ فيها بكل بـديـعـ، مع حـسـنـ خـلـقـ ولـينـ عـشـرـةـ وـشـجـاعـةـ تـامـةـ وـمـعـرـفـةـ بـأـمـورـ الـحـرـبـ وـالـمـاحـاصـرـاتـ، وبـهـ تـخـرـجـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ الـبـوـيـهـيـ وـمـنـهـ تـلـمـعـ سـيـاسـةـ الـمـلـكـ وـمـحـبـةـ الـعـلـمـ وـالـعـلـمـاءـ، وـكـانـتـ وزـارـتـهـ أـرـبـعاـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ، وـعـاـشـ نـيـفـاـ وـسـتـينـ، وـمـاتـ بـهـمـذـانـ.

ويرتبط بالإيتوس (المتكلم) حجج عدّة، لكننا سنتناول هنا ما يسمى الحجة السلطة، إذ "تستخدم حجة السلطة حظوة الشخص في دعم دعوى ما"<sup>(1)</sup>، ويقصد بها نفوذ المتكلم وسطوته، وتختلف السلطة في حجة السلطة وتتعدد تعددًا كثيّرًا (الإجماع، الرأي العام، الدين، العلماء، السياسة، ..... )<sup>(2)</sup>.

وتتجلى حجة السلطة عند ابن العميد ببعدين: البعد الأول: سلطة الكتابة، فهو الأستاذ الرئيس، يُدعى الجاحظ الأخير، يضرب به المثل في البلاغة، أوحد العصر في الكتابة، وظل يردد الثعالبي: بدأت الكتابة بعد الحميد وختمت بابن العميد. أما البعد الثاني فهي سلطة السياسة (نفوذه السياسي)، فهو عماد ملوك آل بويه، وصدر وزارئهم، ورئيس الديوانية، وزير ركن الدولة البويمي<sup>(3)</sup>.

وإذا كان لحضور سلطة المتكلم أثرٌ بارزٌ في نجاح العملية الحجاجية، كما يرى بيرلمان (Perelman) "إننا سنُجلي انصهار السلطة المزدوجة (الكتابة، والسياسة) في رسالة ابن العميد لابن بلكا. ونقصد بذلك تجليات سلطة ابن العميد الكتابية في رسالته، أي مهاراته الكتابية والتقنيات التي استخدمها وبراعته في ذلك، إضافة إلى سلطته السياسية (نفوذه وسطوته)، وكيف وازن بينهما؟".

يتمثل الإنجاز الحجاجي بالنسبة إلى الفاعل الذي يريد أن يجاج في استعمال أساليب ينبغي - مع اعتبار لشكل الانتظام هذا - أن تخدم رهان التواصل الذي هو رهانه حسب الوظيفة والطريقة التي ينظر بها إلى الطرف المحاور أو المرسل إليه<sup>(4)</sup>.

يستخدم ابن العميد تقنيات حجاجية يواجه بها المُخاطب لإقناعه، منطلاقاً من المقدمة التي تعدّ نقطة الانطلاق، وأول ما يقرأه المُخاطب، يقول في بداية الرسالة:

"وكتابي، وأنا مُترجح بين طمع فيك ويسأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنك تدل بسابق حرمة، وتمت بسالف خدمة، أيسرها يوجب رعاية ويقتضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يحيط أعمال ويتحقق كل ما يرعى لك. لا جرم أنّي وقفت بين ميل إليك، وميل عنك، أقدم رجلاً لصلك، وأؤخر أخرى عن قصلك، وأبسط يداً لاصطدامك

(1) مشبال، محمد، في بلاغة الحجاج. دار كنوز المعرفة، المغرب، 2016، ص 133.

(2) ينظر: صولة، في نظرية الحجاج، ص 52 - 53.

(3) ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ/1037م)، بنتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق، مفید قمیحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج 3، ص 183.

(4) ينظر: شارودو، باتريك، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة، أحمد الورني، www.oeabooks.com، ص 75.

واجتياحك وأثني ثانية لاستيقائك واستصلاحك، وأتوقف عن امتنال بعض المأمور فيك ضناً بالنعمة عندك، ومنافسة في الصناعة لديك، وتأميلاً لفياتك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك<sup>(1)</sup>.

يتخذ ابن العميد الحوار دون العنف مع ابن بلكا رغم الموقف الذي صدر منه في خروجه عن طاعة الأمير ركن الدولة<sup>(2)</sup>. فهو بداية يؤكد قيمة ابن بلكا وعدم إلغائه عبر ضمائر الخطاب المتكررة (فيك، منك، عليك، عنك، ...) مما يؤكد حضور ابن بلكا رغم القرار الذي اتخذه.

وإذا كان مؤلفاً كتاب "مصنف في الحجاج" قد وضع الموجهات اللسانية للحجاج في أربعة توجيهات، إلا أنها وضعوا صيغ لغوية أخرى لها بُعدٌ حجاجي، ومن هذه الصيغ ما يتجاوز إحداث التأثير الحجاجي في الجمهور إلى الاتحاد معه فكراً ووجداناً. وهذا ما فعله ابن العميد في بداية المقدمة: "كتابي، وأنا مُترجّح بين طمع فيك ويسار منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك". فالاضطراب والقلق النفسي الذي يعانيه المخاطب لم يعد خاصاً به، وإنما يحاول ابن العميد الاتحاد وجدانياً لا فكريأً مع مخاطبه عبر مشاركته بهذا القلق والتردد والخوف. وهذه المشاركة تهدف لحث المخاطب على إحداث التغيير الفكري، وإرجاعه إلى طاعة الأمير ليتحدا وجداً وفكرياً. وكأنه يريد مجاجحة الآخر، بقوله إنك غير مستقر وجداً ونفسياً بسبب عدم استقرارك الفكري، أما عدم استقراري أنا وجداً ونفسياً بسبب عدم استقرارك أنت، وليس بسبب عدم استقراري الفكري، وحينما تستقر فكريأً بالرجوع إلى طاعة ركن الدولة ستستقر فكريأً ووجدانياً، وحينئذ سنتحد كلاناً ونستقر وجداً ونفسياً وفكرياً.

ولعل ما يعزز هذه الفكرة أنَّ ابن العميد يتأمل خيراً في مخاطبه، إذ يقدم الإيجاب على السلب" طمع فيك، وإقبال عليك، تدل بسابق حرمة، تمتُّ بسالف خدمة، ميل إليك، أتوقف عن امتنال بعض المأمور فيك ...). معللاً ذلك بما كان بين ابن بلكا وركن الدولة من التوثق والمحبة الحميمية والصلة والقربى في

(1) الشعالي، يتيمة الدهر في محسن أهل العصر، ج 3، ص 192 – 194. حيث وردت الرسالة في الجزء الثالث، وقال في مقدمتها: "وقد أجمع أهل البصرة في الترسُل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرّة كلامه، وواسطة عقده، وما ظنك بأجود كلام لأبلغ إمام".

(2) ينظر: الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 185، حيث يُعرف بركن الدولة ابن بويه (284-366هـ/897-976م) الحسن بن بويه بن فناخسو الديلمي، ركن الدولة: من كبار الملوك في الدولة البوهيمية. كان صاحب أصبهان والري وهمدان وجميع عراق العجم. استوزر أبا الفضل ابن العميد، ثم ابنه أبا الفتح. واستمر في الملك 44 سنة وشهرًا و 9 أيام. وهو والد عضود الدولة "فناخسو" ومؤيد الدولة "بويه" وفخر الدولة "علي" قسم عليهم الممالك في حياته. وتوفي بالري.

الماضي القريب، وابن بلكا لا ينكر هذه المحبة، وكأنه يحثه بأسلوب نفسي تأثيري لإثارة الانفعال لديه من أجل الرجوع إلى طاعة الأمير عبر الأمل والرجاء.

إن التوازيات الصوتية بين الكلمات والجمل في عناصر اللغة التركيبية يكسبها جرساً موسيقياً، مما يمنحها بنية تطريزية جمالية تُسهم في تقوية الحجة الإقناعية من جهة، وبعث المتكلم على تصديقها من جهة أخرى. وتمثل هذه العناصر، بعناصر البديع كالسجع والجناس والطباقي والترادف والمقابلة والموازنة بين الجمل وغيرها.

ويتجلى ذلك من خلال النبر الصوتي المتاغم والمنسجم الذي يشيع فيها ممثلاً بالسجع، مثل "إقبال عليك، إعراض عنك، فإنك تدل بسابق حُرمه، وتمت بسالف خدمة". وكذلك الازدواج والتوازي، حيث توازن الجمل وتعادلها في طولها وإيقاعها الموسيقي منتهياً بالسجع مثل: "إنك تدل بسابق حرمة، وتمت بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية، ويقتضي محافظة وعناية"<sup>(1)</sup>.

وقد علق الدكتور شوقي ضيف على قيمة السجع والعناصر الإيقاعية الأخرى في الرسالة، بقوله: "فالرسالة كلها تمضي على هذا النحو من السجع والعنایة بالبديع، فكلها ثُحفٌ من السجع وطرق من الجناس والطباقي والتصوير، فهي وشيٌّ خالص، هي بديع وتطريز وترصيع إذ ما يزال ابن العميد يدمج وشي السجع في وشي البديع من التصوير، والطباقي والجناس. فإذا أسلاليه ثروة لغوية هائلة"<sup>(2)</sup>.

والسجع كما يرى الجرجاني، "يرد في الكلام، فإنه يحقق فيه، بفضل توافق فواصله وانسجامها الصوتي، تماثلاً صوتياً وإيقاعياً رناناً يجعل النفس تتجذب إليه، ليس فقط بالإصغاء والسماع، ولكن بحفظه وتمثيله"<sup>(3)</sup>. حفظ النفس للكلام مداعاة لجعله قريباً من العقل والقلب، وكلما كان الكلام قريباً منهما كان مداعاة لفهم والتأمل والتدبر والعمل بمحتواه، والامتثال لما يأمر به، واجتناب ما ينهي عنه، وكان لسان حاله، يقول: "توقيع الكلام وتوازنه يكاد يكون حجة على صدقه"<sup>(4)</sup>.

(1) الثعالبي، بنتيمة الدهر في محسن أهل العصر، ج 3، ص 193.

(2) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط 5، دار المعرفة، مصر، (د. ت.)، ص 210.

(3) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت 441هـ/1049م)، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدنى، جدة، مطبعة المدنى، القاهرة، (د. ت.)، ص 9-10.

(4) ينظر: العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ص 116.

يسهم السجع بوصفه عنصراً حجاجياً في إثارة عواطف المخاطب واستمالته، فهو يؤدي من خلال ما يمنحه للخطاب من ثراء موسيقي وإيقاع مطرب ومتناعلم إلى إثارة انفعالات المخاطب وتأجيج عواطفه من أجل تهئته نفسياً واستدراجه لأن يقنع "ابن بلكا" بالكلام، ويعود إلى سلطة ركن الدولة.

يستخدم ابن العميد الأساليب اللغوية في مقدمة الرسالة، مثل السجع، والمتناعلم والإيقاع الموسيقي، والامتزاج مع المخاطب، التي تؤدي بدورها إلى سلامة انقياد المخاطب أو السامع إلى ما يريد أن يقوده المتكلم إليه (العودة إلى سلطة ركن الدولة)، إذ حملت في طياتها الأمل والرجاء في العودة، وذلك بقوله: "تأمياً لفياًتك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك".

وعلى الرغم مما سلف فإن الرسالة لا تحمل في مضمونها التوسل لابن بلكا بالرجوع، إذ إن الأمل والرجاء تلازم معهما سلطة المتكلم ونفوذه السياسي الذي كان حاضراً في المقدمة بين ثنياً السطور، من خلال القدرة على الفعل، بقوله: "أبسط يداً لاصطدامك واجتياحك". إشارة إلى تدميره والخلاص منه، ولعل ما يعزز هذه السلطة التي تحمل في طياتها التهديد المباشر، ما ورد في الفقرة الأخيرة من الرسالة بقوله:

"تأمل حالك وقد بلغت هذا الفضل من كتابي، والمس جسدك وانظر هل يحس؟ واجسس عرقك هل ينبعض؟ وفتش ما هنا عليك هل تجد في عرضها قلبك، وهل حلي بصدرك أن تظفر بفوت صريح، أو موت مريح؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده وآخر شأنك بأوله".

فالتهديد والوعيد على مقدرة المتكلم بتصفية المخاطب تصفية جسدية تظهر من خلال أفعال الأمر التي تحمل بعدها حسياً (المس، اجسّس، فتش). ومع هذا فإن ابن بلكا قد قدم الجمل التي تحمل الأمل والرجاء؛ لأن الفكرة المأمولة لديه، والتي تصب في مصلحة الخلافة هي عودة ابن بلكا إلى ركن الدولة لا تصفيتها.

### الأساليب اللغوية والحجاج

لقد حصر مؤلفاً كتاب "مصنف في الحجاج" الموجهات بالمعنى اللساني للحجاج في أربعة: (التجويه الإثباتي، والإلزامي، والاستفهامي، والتمني)<sup>(1)</sup>. وعلى الرغم من ذلك وضعاً صيغاً لغوية أخرى لها بعد حجاجي، ومن هذه الصيغ ما يتجاوز مجرد إحداث التأثير الحجاجي في الجمهور إلى الاتحاد معه فكريًا

(1) صولة، في نظرية الحجاج، ص 38.

ووجداً نياًً. ومن هذه الصيغ اللغوية الصور البلاغية<sup>(1)</sup>، وينذكر منها التكرار، والإسهاب، والتنقل بين الأزمنة، والتلميح، والشاهد أو المثال، والاستفهام، وصور المجاز مثل الاستعارة وغيرها.

وسنتناول التنقل بين الأزمنة، وبعض الأساليب اللغوية الحجاجية التداوilyة، المثال (الاستشهاد أو الشاهد)، والاستعارة كونها أحد الحجج المؤسسة لبنيّة الواقع من خلال الاستدلال بواسطة التمثيل.

#### 1- التنقل بين الأزمنة:

يمثل ضرورةً من ضروب وجوه الاتصال التابعي. من خلال الوصل السببي، ومعنى ذلك أن الرابط السببي يكون عبر المرور في الاتجاهين من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب. وفي هذا الإطار يمكن أن نتحدث عما يسميه بيرلمان (الحجّة البراغماتية). وتعني الحجّة التي يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه السلبية أو الإيجابية. ومن هنا كان للحجّة البراغماتية تأثير مباشر في توجيه السلوك وعُدّت من أهم وسائل الحاجاج<sup>(2)</sup>.

يقول ابن العميد موجهاً خطابه لابن بلكا: "وزعمت أنك في طرفِ من الطاعةِ بعدَ أنْ كنْتَ مُتوسطَها، وإذا كنْتَ كذلكَ فَقْد عرَفَتَ حاليَها، وحَلَبَتْ شطريَّها، فَنَشَدْتُكَ اللهُ لِمَا صَدَفْتَ عَمَّا سَأَلْتُكَ، كيْفَ وَجَدْتَ ما زَلْتَ عَنْهُ، وَكِيفَ تَجَدُّ ما صَرَّتْ إِلَيْهِ؟ ألمْ تَكُنْ مِنَ الْأُولِيَّ فِي ظَلِيلٍ، وَنَسِيمٍ عَلِيلٍ، وَرِيحٍ بَلِيلٍ، وَهَوَاءٍ عَدِيٍّ، وَمَاءٍ رَوِيٍّ، وَمَهَادٍ وَطِيٍّ، وَكِنْ كَنِينٍ، وَمَكَانٍ مَكِينٍ، وَحَصْنٍ حَصِينٍ، يَقِيكَ الْمَتَّالِفُ، وَيَؤْمِنُكَ الْمَخَاوِفُ، وَيَكْنِفُكَ مِنْ نَوَائِبِ الزَّمَانِ، وَيَحْفَظُكَ مِنْ طَوَارِقِ الْحَدَّاثَانِ؟

عزَّزَتْ بِهِ بَعْدَ الذَّلَّةِ، وَكَثُرَتْ بَعْدَ الْقَلَّةِ، وَارْتَفَعَتْ بَعْدَ الْضَّعْفِ، وَأَيْسَرَتْ بَعْدَ الْعَسْرَةِ، وَأَثْرَيَتْ بَعْدَ الْمُتَرْبَّةِ، وَاتَّسَعَتْ بَعْدَ الصَّيْقَةِ، وَظَفَرَتْ بِالْوَلَادِيَّاتِ، وَخَفَقَتْ فَوْقَ الرَّايَاتِ، وَوَطَّئَ عَقْبَيَ الرَّجَالِ، وَتَعَلَّقَتْ بَكَ الْآمَالُ، وَصَرَّتْ تُكَاثِرُ وَيُكَاثِرُ بِكَ، وَتُشَيِّرُ وَيُشَارُ إِلَيْكَ، وَيُذَكَّرُ عَلَى الْمَنَابِرِ اسْمُكَ، وَفِي الْمَخَاطِرِ يَكْرُكُ، فَفِيمَ الْآنَ أَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ، وَمَا الْعَوْضُ عَمَّا عَدَتْ، وَالْخَلْفُ مَا وَصَفَتْ، وَمَا اسْتَقْدَتْ حِينَ أَخْرَجْتَ مِنَ الطَّاعَةِ نَفْسَكَ، وَنَفَضَّتْ مِنْهَا كَفَّكَ، وَغَمْسَتْ فِي خَلَافِهَا يَدَكَ؟<sup>(3)</sup>.

يرتد ابن العميد إلى الزمن الماضي القريب، حين كان ابن بلكا في متوسط سلطة ركن الدولة، إذ كان يتمتع بالحرية، ورغد العيش، والأمان، والقوة، والأمن، وعدم الخوف من نوائب الزمان وطوارق الحداثان. ثم

(1) ينظر: صولة، في نظرية الحاجاج، ص 38.

(2) ينظر: صولة، في نظرية الحاجاج، ص 49-50.

(3) الشعالي، يتيمة الدهر في محسنات أهل العصر، ج 3، ص 194.

يرتد به إلى الماضي البعيد حين كان في طرف سلطة ركن الدولة، وذلك قبل تعرفة بركن الدولة. وما حصده في الماضي القريب حينما أصبح في متوسط طاعة ركن الدولة من العز، الكثرة، الارتفاع، اليسر، الثناء، السعة، الظفر، الأمر والنهي، ذيوع الصيت، الذكر الحسن. وبعد ذلك يوجه له سؤالاً عن الحاضر، ففيما الآن أنت من الأمر؟ وما استقدت حين أخرجت من الطاعة نفسك؟ والجواب الضمني عن الآن الحاضر (طرف الطاعة) أنه عاد كما كان قبل تعرفه بركن الدولة (الذلة، والقلة، والضياع، والعسرة، والمتربة، والضيق)، أضف إلى ذلك أن خروجه من الطاعة أدخله إلى دائرة (الضعف، وضيق العيش، وعدم وجود الأمان والأمان؛ لأنه مهدور الدم ومهدد بالقتل). وذلك ربط عبر مرور في الاتجاهين من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب.

فتحوّل حالة المخاطب بما كان عليه إلى الماضي القريب في الماضي البعيد بما أصبح فيه، بسبب تحوله ومن طرف الطاعة إلى متوسط طاعة ركن الدولة. أما حالة المخاطب في الحاضر؛ فهي نتاجة لخروجه من متوسط الطاعة في الماضي القريب.

فسؤاله: ففيما الآن أنت من الأمر؟ وما استقدت حين أخرجت من الطاعة نفسك؟ هو سؤال لتوجيهه سلوكه نحو ما فيه خير أمره، وهو الرجوع كما كان في الماضي القريب في متوسط طاعة ركن الدولة. إنّ ما يلّجأ إليه ابن العميد هو بحث تأثيري، يطلق عليه باتريك شارودو (Charaudeau Patrick) التلفظ المزدوج، الذي هو عبارة عن مسار عقلي ومنطقي، ويمكن أن يحصل بواسطة وسائل أخرى غير البرهنة. من ذلك مثلاً وسائل الإغراء حين يستعير أشكال خطابات أخرى مثل خطاب الوصف<sup>(1)</sup>.

لذلك يلّجأ ابن العميد إلى مزج أو تسخير خطاب الوصف - وصف حالة ابن بلكا عبر الأزمنة (الماضي البعيد، القريب، الحاضر) - والإقناع، اللذين قد يتجهان نحو الامتزاج للوصول إلى الهدف المنشود، توجيهه سلوك ابن بلكا وعودته إلى طاعة ركن الدولة. من خلال الأساليب القولية المتمثّلة بالالتفات إلى الأزمنة.

وتتعاضد وجوه الاتصال التابعي مع وجوه الاتصال التواجدي (الشخص وأعماله)، ولئن كانت الأعمال تجلو جوهر الشخص وتقسّره، فإنّه في المقابل يمكن أن يكون الشخص أو بالأحرى ما نعرفه عن الشخص هو الذي يفسّر لنا ما عُمض من أعماله. فالشخص هنا ينهض لدور السياق الذي يعين على

(1) ينظر: شارودو، *الحجاج بين النظرية والأسلوب*، ص 15.

تأويل العمل. وفي هذه الحالة يلعب القصد أو النية أو الطوية ما توفر لدينا من أفكار وآراء سابقة حول الشخص صاحب العمل. وهكذا فإن اللجوء إلى القصد أو النية يمثل مناطح الحاجاج، فهو يربط العمل بصاحبه ويعيننا على فهم عمله وعلى إمكان تقويمه. وبذلك فإن علاقة الوصل التواجدية لا يتبع الحاجاج فيها مسار عمل- شخص، وإنما يتبع فيها مسار شخص- عمل، وهو ما أسماه بيرلمان "التدخل بين العمل والشخص"<sup>(1)</sup>.

لقد تم إنجاز العمل، وهو الخروج من طاعة الأمير ركن الدولة من قبل ابن بلكا، ومن خلال معرفة ابن العميد لشخص المخاطب، بأنه يحافظ على العهد والوفاء، يرى أنه لم يكن ثمة نية عقلية فكرية حقيقة لدى صاحب العمل حينما أنجزه، وإنما هو نزوة عابرة، قد فعلها في غفلة من أمره؛ لذلك يوجه خطابه للمخاطب بعد مقدمة الرسالة، فيقول: "فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب، وينذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاع الرأي ثم يستدرك، ويذكر المرء ثم يصحو، ويذكر الماء ثم يصفو، وكل ضيق إلى رخاء، وكل غمرة إلى انجلاء"<sup>(2)</sup>.

إن إنجاز الفعل كان لحظة غروب العقل، وذهاب الحزم، وفساد العزم، وضياع الرأي، وغياب العقل (السكر)، ليختتم الفقرة بقوله: " وكل ضيق إلى رخاء، وكل غمرة إلى انجلاء".

يستخدم ابن العميد استراتيجية خطابية، وهي ما يمكن أن نطلق عليها استراتيجية التبرير، إذ يغدو التبرير رافداً وتقوية يجعل المتلقى يذعن ويؤمن ويوافق. وهي يعني أن إنجاز الفعل لو كان بنية حقيقة، وأخذَ بعد تروٍ ودراءة وتعمق وتفكير لم يوجه له هذه الرسالة للرجوع عما اتخذه من قرار، وإنما من خلال معرفته بالمخاطب فإن القرار قد اتخاذ بلحظة عابرة، ولم تتوافر فيه النية الحقيقة عندما أنجز هذا الفعل من المخاطب.

## 2. الأساليب الحاجاجية التداولية

### أ-إنشاء / خبر

ويتمثل ذلك على صعيد المعاني بالعدول من الإنشاء إلى الخبر، تطبيقاً لقانون الأنفع والأنفع في الخطاب.

(1) ينظر: صولة، في نظرية الحاجاج، ص 51-52.

(2) الشعالي، يتيمة الدهر في محسن أهل العصر، ج 3، ص 193.

1. "فلا بدع أن تأتي من إحسانك بما لا ترتبه أعداؤك" / عوضاً عن: (آت من إحسانك بما لا ترتبه أعداؤك).

2. "فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت" / عوضاً عن: (انتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت).

وعلى هذا النحو تبدو الجملة الخبرية أقوى إلزاماً بالحكم الوارد فيها من الجملة الإنسانية، قال الزركشي: إنما يجيئ الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته وأنه ينبغي أن يكون واقعاً لا بد<sup>(1)</sup>.

أ. خبر / إنشاء:

والعكس بال العدول من الخبر إلى الإنشاء حين يكون الإنشاء هو الأنفع:

1. "ألم تكن في الأول في ظل ظليل؟" عوضاً عن: (كنت في الأول في ظل ظليل).

2. "المس جسدك وانظر هل يحس؟" عوضاً عن: (المس جسدك وانظر إنّه يحس).

3. "أجسس عرقك هل ينبعض؟" عوضاً عن: (أجسس عرقك إنّه ينبعض).

كما يقع العدول في أسلوب الإنشاء إلى أسلوب آخر مثل العدول عن الأمر أو النفي إلى الاستفهام.

1. "كيف وجدت ما زلت عنه، وكيف تجد ما صرت إليه؟" عوضاً عن: (انظر ما وجدت بما زلت عنه وما صرت إليه).

2. "فقيم الآن أنت من الأمر؟" عوضاً عن: (انظر الآن إلى أمرك).

3. "ما العوض بما عدّت؟" عوضاً عن: (لا عوض بما عدّت).

4. "ما استقدت حين أخرجت من الطاعة نفسك؟" عوضاً عن: (لم تستقد حين أخرجت نفسك من الطاعة).

5. "هل حلي بك أن تظفر بفوت صريح" عوضاً عن: (أظفر بفوت صريح).

الاستفهام على عكس التقرير أو النفي أو الأمر يجعل المخاطب في حالة اضطرار إلى الجواب، خصوصاً في حالة الاستفهام الداخل على النفي "ألم تكن في الأول في ظل ظليل؟". فهو يجعل

(1) ينظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، محمد بن عبد الله (ت 794هـ/1392م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق يوسف المرعشلي وجمال الذهبي وإبراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت، 1990، ج 3، ص 411.

المخاطب يسير في الاتجاه الذي يرسمه السؤال. فالمخاطب بمثل هذا الأسلوب لا يكون مجرد شاهد بل هو معني بما يقال<sup>(1)</sup>.

كما أنّ ثمة معاني زائدة على أصل المعنى المستفاد من الاستفهام، وذلك لتعزيز درجة الإقناع بالنتيجة التي يتوجّه بها الملفوظ:

1. "ألم تكن في الأول في ظل ظليل؟" = تقرير + لوم وتنبيه + تعجب.
2. "المس جسدك وانظر هل يحس؟" = تقرير + تهديد ووعيد.
3. "أجسّس عرقك هل ينبض؟" = تقرير + تهديد ووعيد.
4. "كيف وجدت ما زلت عنه، وكيف تجد ما صرت إليه؟" = أمر + لوم.
5. "ففيما الآن أنت من الأمر؟" = أمر + تنبيه.
6. "ما العوض عما عدّت؟" = نهي + لوم.
7. "ما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك؟" = نهي + لوم + تنبيه.
8. "هل حلي بك أن تظفر بفوت صريح" = أمر + تهديد ووعيد.

#### المثال: (الاستشهاد)

تعُد المقاربة التداولية تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياسي في النص أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص. وذلك لا يعني إهمالها للمرجع والإحالات، فالتداوليات اهتمت كذلك بالمرجع والإحالات التي تم إقصاؤها من دوسوسيير (Ferdinand de Saussure) الذي حصر العلاقة بين الدال والمدلول<sup>(2)</sup>.

وبما أن النص إحالات مرجعية وسياقية ومقامية وتدابيرية، فلا يمكن فهم الملفوظ النصي أو الخطاب باعتباره كليّة عضوية متسقة ومنسجمة إلا إذا رأينا مفهوم الإحالات النصية والمقامية والسياسية. وما نركز عليه هنا الإحالات المقامية (إحالات إلى خارج النص)، أو يمكن تسميته بالتناص، إذ تُعد هذه الإحالات علاقة

(1) ينظر: صولة، في نظرية الحجاج، ص 98 .

(2) ينظر: حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 7 .

دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه<sup>(1)</sup>.

يقول ابن العميد موجهاً خطابه لابن بلكا: " وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك، ونفست فيها كفك، وغمست في خلافها يدك، وما الذي أظلك بعد انحسار ظلّها عنك؟ أظلّ ذو ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغنى من اللهب؟ قُلْ نَعَمْ كَذَلِكْ".

يمثل الاستشهاد السابق إحالة إلى قوله تعالى في سورة المرسلات: «انطَلَقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ، انطَلَقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثَ شَعْبٍ، لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِبِ، إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ الْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جَمَالٌ صَفْرٌ، وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ»<sup>(2)</sup>.

إن الخطاب القرآني موجه لأهل النار يوم القيمة، أن ينطلقوا إلى ما كانوا يكذبون به، أليست هذه جهنم التي حذركم منها المرسلون؟! إذاً انطلقوا إلى ظلّها الذي تتمايز في خالله ثلاث شعب، قطع من النار تتعاوله، وتتناوبه، وتجمع به، فهو ظل لا ظليل، فلا راحة فيه ولا طمأنينة فلا يُمْكِن فيه ولا يغنى من اللهب الذي أحاط به من كل جانب. وهذا الخطاب موجه إلى الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، وما يقوله الله تعالى لهم يوم القيمة<sup>(3)</sup>.

حينما قسم أرسطو البراهين الخطابية إلى ثلاثة أقسام، ربط الضرب الثالث منها، وهو ما يتعلق بالمتلقي بالتهديد والوعيد. فربط ابن العميد التهديد والوعيد بالجانب الديني (حال الكفار المكذبين) يوم القيمة، ومكانهم جهنم (ظل ذي ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغنى من اللهب).

تصور رسالة ابن العميد حالة مستقبلية حتمية من المنظور الديني لأولئك الكفار المكذبين الذين ظلوا مصرين على التكذيب بيوم الدين، وعذاب جهنم، والجنة والنار والمعاد والجزاء، حتى أصبح حقيقة واقعة بما يحمله المشهد من الترويع يوم القيمة (جهنم بدخانها الكثيف). وكون هذه الحقيقة الإلهية مستقبلية، فلا شك أنها تحمل بين ثناياها خطاباً مضمراً وتعريفاً لحال الكفار المكذبين حين نزول السورة القرآنية،

(1) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1991، ص 16، 17.

(2) المرسلات، الآيات 29-34.

(3) ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ/1957م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، حققه وضبطه ونسقه وصححه، محمد زهري النجار، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الإداره العامة للطبع والترجمة، الرياض، 1990، ج 7، ص 545.

وتوبخاً لهم، وبيان حالهم المستقبلي يوم القيمة إن لم يرتدعوا ويعودوا عن تكذيبهم، ويؤمنوا بالجنة والنار والمعاد والجزاء، فسيكون مصيرهم مثل أولئك الذين استمروا في الكفر والتكذيب.

يعد المثل "أحد الحجج القائمة على التماثل والتشابه، بمعنى قول في شيء يشبه قوله في شيء آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوّره، ويرى الرازي أنه يؤثر في النفس مثل تأثير الدليل<sup>(1)</sup>. يحضر المثل هنا عبر الاستشهاد بالقرآن الكريم أو الإحالة إليه عبر تمثيل ابن العميد لحالة مشابهة بالكافر المكذيبين، فتشبيه حالة ابن بلكا بالكافر المكذيبين بداية، لإكساب الرسالة شرعيتها الدينية، أو ما نقصده إكساب الدولة (حكم ركن الدولة) شرعية دينية، وأنّها دولة دينية راشدة، ومن ثم فإنّ استمرار ابن بلكا في خروجه عن هذه الدولة الدينية الشرعية مثل حال الكافر المكذيبين الذين استمروا في تكذيبهم. واستمراره بالعصيان والخروج عن طاعة ركن الدولة سيسبب له خسارتين، الأولى: الدنيوية (القتل)، والثانية: الأخرى (جهنم) مثل الكفار المكذيبين.

لكنه إذا رجع إلى كنف ركن الدولة سيكون حاله حال الكافر المكذيبين الذين فهموا الخطاب القرآني الضمني، فصدقوا ورجعوا عن كذبهم، فربحوا الدنيا والآخرة، وابن بلكا إن فعل ذلك كان حاله حالهم. يستخدم ابن العميد حجة المثال بوصفها أحد الحجج القائمة على التماثل والتشابه، إذ إنّ أظهر ما يميز هذه الحجة، كونها لا تستند إلى الواقع بل تضع واقعاً جديداً، وذلك من خلال توليد علاقات حادثة بين الأشياء والعناصر والمفاهيم.

وهذه الحجة متأسسة على قانون التماثل والتشابه علاقة وإسناداً، إذ يتجسد المثال في رسالة ابن العميد عبر استحضار الواقع الدينية "أظل ذي ثلاثة شعب، لا ظليل ولا يغنى من اللهب"، واستجلابه يجعل الرسالة منغرسة في بيئه راسخة ذات مراجع تقويتها وأركان تعصدها (القرآن الكريم). وذلك يضمن للرسالة نفوذها الواجب (النفوذ الديني) والقوة المرجوة حتى يحصل الإقناع ويتولد التيقن لدى المتلقي<sup>(2)</sup>.

الاستعارة:

(1) ينظر: العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 84.

(2) ينظر: الشبعان، علي، *الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل*، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010، ص 307، 308.

إذا كانت الاستعارة نقل اللفظ من معناه الذي وضع له في اللغة، فإن هذا المفهوم لا يؤدي إلى إيضاح المعنى الحقيقي من الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني، وهو المبالغة القائمة على الادعاء. ومن هنا فالاستعارة عنده طريقة من طرق الإثبات عمادها الادعاء.

يقول ابن العميد "وزعمت أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها، وحلبت شطريها".

فهو يدعى أن ركن الدولة ناقة حلوب للدلالة على الكرم والعطاء، ومراده إثبات صفة الكرم والعطاء لركن الدولة، إذ لم يطلق اسم الناقة الحلوب عليه أو على طاعته إلا بعد أن أدخلها في مفهوم الناقة الحلوب.

والادعاء كفعل حجاجي يستوجب إدخال المستعار له في جنس المستعار منه على وجه الحقيقة، وذلك بإيجاد عالم ثالث هو عالم الممكن، إذ يمكننا أن نجمع بين عالمين ذي بنبيتين ونسقيين مختلفين فنصير المستحيل ممكناً عن طريق الخيال؛ لذلك اعتبره الجرجاني أداة من أدوات الإيقاع<sup>(1)</sup>.

فالاستعارة كما يرى الجرجاني: "ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستغنى فيه الأفهام والأذهان لا السماع والآذان"<sup>(2)</sup>.

وكلام الجرجاني يدخل في باب الاستدلال بواسطة التمثيل الذي يعني تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات، فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر وهو مجال الاستعارة.

وقد ذهب أوليفي روبول (Olivier Reboul) إلى أن الاستعارة أكثر إقناعاً من القياس بفضل المزج الذي تحدثه بين المستعار والمستعار له. ومن هنا نفهم إن الاستعارة الحجاجية ليست مجرد زخرفة قولية، بل هي أداة أساسية في الحجاج، وهذا يذكروا بما أجمع عليه القدماء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة<sup>(3)</sup>. إن الصورة التعبيرية الاستعارية البدعة ذات الطاقة الحجاجية لابن العميد مخاطباً ابن بلكا: "وزعمت أنك في طرف من الطاعة ..."، ذكرت المشبه (طاعة ركن الدولة) وحذفت المشبه به (الناقة الحلوب)

(1) ينظر: أبا علال، اللسانيات التداولية ونظام الخطابة، ص 192.

(2) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 20.

(3) ينظر: أبا علال، اللسانيات التداولية ونظام الخطابة، ص 194.

على سبيل الاستعارة المكنية، ووجه بلاغتها يكمن في روعة التصوير من خلال إلباس المعنى (طاعة ركن الدولة) ثوب المحسوس (ناقة الحلوب).

يصور ابن العميد لابن بلكا إفادته من وجوده في طاعة الخلافة بصورة حيوان حلوب (ناقة حلوب)، وما آلت إليه حاله الآن، وهو بعيد عن خيرها بعد أن كان غارقاً في كرمها وعطائها. فهو يذكره عبر مقارنة عقلية منطقية نفعية بين الحالتين: الجوع والشبع، ثم يذكره كيف كان يحلب ضرعيها، إذ جعل للطاعة أثداء هي أثداء الناقة، وهذا التشبيه الجميل البليغ للطاعة هو الاستعارة المكنية. فشبه الطاعة بالناقة، واستعارة الناقة للطاعة (الحسي للمعنى)، وحذف المشبه به (ناقة) ورمز إليها بشيء من لوازمهما وهي الأثدية (حلبت)، مما أوهمنا في تصوير الطاعة بالناقة التي أوجد لها صورة الأثدية التي تعطي الحليب، وحيثئذ تكون الأثدية التي تحلب استعارة تخيلية، لأن المستعار له، وهو (حلبت شطريها) أي أثداءها صورة تخيلية وهمية.

لا يبحث ابن العميد في خطابه الاستعاري عن رضا ابن بلكا واستثارة عواطفه، بل إنّه يخاطب عقله لإحداث نشاط ذهني عبر التمثيل بين الحالتين: الماضي والحاضر؛ ليستدل ابن بلكا بأيّ الطريقين يسلك عبر مقارنة عقلية نفعية يفعلها ابن العميد في رسالته بعد الاستعارة مباشرة (الالتفات في الأزمنة كما تم تحليلها سابقاً). وبما أنّه لا يبحث عن رضا ابن بلكا، فإنّ خطابه يثير في قلب ابن بلكا الرعب والخوف بصرف النظر عن اقتناعه، عبر تحويل الرسالة صيغة التهديد والوعيد، مستندًا في ذلك إلى نفوذه وسطوته السياسية، كما يرد في نهاية الفقرة الرابعة ذاتها التي وردت فيها الاستعارة، بقوله: " فهو والله أكثف ظلالك في العاجلة، وأروحها في الآجلة، إن أقمت على المحايدة والجحود، ووّقعت على المشaque والجمود".

لقد انغمس ابن العميد في نفسية المخاطب، وتوجّس أحاسيسه ومخاوفه، وما يمكن أن يؤثر في خلجان قلبه وبنات أفكاره من تفاعل بناء عبر رسالة اشتغلت تقنياتها اللغوية والتدليلية والحجاجية؛ لاستدراج المخاطب وحمله فكراً ووجداناً على ترك موقفه، مما دفع بالمخاطب في النهاية ليتراجع عن موقفه، ويعود لمصافحة كنف ركن الدولة وطاعته، كما ورد عند الثعالبي على لسان المخاطب<sup>(1)</sup>.

(1) قال الثعالبي في نهاية إيراده لرسالة ابن العميد: "بلغني عن ابن بلكا- وكان آدب أمثاله- أنه كان يقول: والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس، ولقد ناب كتابه عن الكاتب في عرك أديمي واستصلاحي، وردي إلى طاعة صاحبه"، يتيمة الدهر، ج 3، ص 195.

## الخاتمة

لقد كشفت الدراسة أن رسالة ابن العميد إلى ابن بلكا شكلت خطاباً حجاجياً متقدّماً، ارتقى من غرض الإفهام إلى التأثير فالإقناع الذي جعل (الباتوس/ المُخاطب/ ابن بلكا) يُذعن لما طرّه (الإيتوس/ المُجاج/ ابن العميد) ويُثبّت به إلى الدرجة التي جعلته يُسلِّم بالأمر وينصاع له فينجز المطلوب. هيأً لذلك كفاية المُجاج الخطابية المتمثّلة ببنية الخطاب الداخلية التي سخرت التقنيات اللغوية والتداولية والحجاجية مثل: التوازيات الصوتية بين الكلمات والجمل المتمثّلة بعناصر البديع كالسجع والجناس والطباقي والترادف والمقابلة والموازنة، والالتفات في الأزمنة والعدول من الخبر إلى الإنشاء أو من الإنشاء إلى الخبر، أو في الإنشاء نفسه بالعدول عن الأمر أو التفويت إلى الاستفهام، واعتماد حجة المثال أو الاستشهاد القائمة على التمثيل والتشابه، أو حجة الاستعارة القائمة على الادعاء لاستعمال المُخاطب واستدراجه من جهة، وكفاية المُجاج السياسية المتمثّلة بنفوذه وسطوته من جهة أخرى، فضلاً عن كفايته الأخلاقية وقدرته على التأثير نفسياً في المُخاطب - أملاً ورجاءً أو تهديداً ووعيداً - وصولاً إلى ردّه لما كان فيه سابقاً من طاعة وامتثال، إذ انتمر بأمره وانقاد لمراده عائداً دون إبطاء - إلى سلطة ركن الدولة البوّيهي حال قراءته الرسالة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة العلمية، الجزائر، 2009.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ/1037م)، يبيمة الدهر في محسن أهل العصر،  
شرح وتحقيق مفید قمیحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/869م)، البيان والتبيين، ط 2، تحقيق وشرح عبد السلام  
هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ت.).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت 441هـ/1049م)، أسرار البلاغة، تحقيق محمود  
شاكر، دار المدنی، جدة، مطبعة المدنی، القاهرة، (د. ت.).

حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، في <https://ketabpedia.com>  
حمداوي، جميل، نظريات الحجاج، في [Bilarabiya.net/19660.html](http://Bilarabiya.net/19660.html).

الحوش، أحمد، الحجاج في أدب الوفادات عند العرب في العصر الأموي، عالم الكتب الحديث للنشر  
والتوزيع، إربد، 2021.

خطابي، محمد، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991.

الدهري، أمينة، الحجاج وبناء الخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2011.

الزرκشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ/1392م)، البرهان في علوم القرآن،  
تحقيق يوسف المرعشلي وجمال الذهبي وإبراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت، 1990.

الزركلـي، خير الدين بن علي بن محمود (ت 1396هـ/1976م)، الأعلام، ط 17، دار العلم للملايين،  
بيروت، 2007.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ/1957م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،  
حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهري النجار، الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرئاسة العامة  
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، 1990.

شارودو، باتريك، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة أحمد الودري، في [www.oeabooks.com](http://www.oeabooks.com)  
الشبعان، علي، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010.

صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج، مسكيليانى للنشر والتوزيع، تونس، 2011.

ضيف، شوقي، *الفن ومذاهبه في النثر العربي*، ط 5، دار المعارف، مصر، (د. ت.).

أبا علال، مولود، *اللسانيات التداولية ونظام الخطابة*، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وأدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليباس، سيدى بلعباس، الجزائر، 2016-2017.

العمري، محمد، في *بلاغة الخطاب الاقناعي*، ط 2، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، 2002.

عزيز، جعفر، "تحليل الرسالة السياسية من ابن العميد إلى ابن بلكا: مقاربة بلاغية حجاجية"، أوراق نما، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2016.

<https://nama-center.com>

مشبال، محمد، في *بلاغة الحجاج*، دار كنوز المعرفة، المغرب، 2016.

## References

- Al-Qurān al-Karīm.*
- Bwjādy, Khalīfah, *fī al-Lisānīyāt al-Tadāwulīyah*, Bayt al-Ḥikmah al-‘Ilmīyah, Algeria, 2009.
- Al-Tha‘ālibī, Abū Mansūr ‘Abd al-Malik bin Muḥammad bin Ismā‘īl, (d. 429 A.H./1037 A.D. ), *Yatīmat al-Dahir fī Maḥāsin Ahl al-‘aṣr*, edited by ‘Mufid Qamīhah, Dār al-Kutb al-‘Ilmīyah, Beirut, 1983 .
- Al-Jāhīz, Abū ‘Uthmān ‘Umar bin Bahr, (d. 255A.H. / 704A.D.), *al-Bayan wa al-Tabīn*, 2<sup>nd</sup> edition, edited by ‘Abd al-Salām Hārūn, Dār al-Fikr li al-Ṭibā‘ah wa al-Nashr wa al-Tawzī‘, (d.n.).
- Al-Jurjānī, ‘Abd al-Qāhir bin ‘Abd al-Rahmān bin Muḥammad, (d. 441A.H. /1049A.D.), *Asrār al-Balāghah*, edited by ‘Maḥmūd Shākir, Dār al-Madanī, Jeddah, Maṭba‘at al-Madanī, , Cario, (d.n.).
- Ḩamdāwī, Jamīl, *al-Tadāwiliyāt wa Thīl al-Khiṭāb*, in <http://kitapedia.com>.
- Ḩamdāwī, Jamīl, *Naẓarīyāt al-Ḥijāj*, in Bilarabiya.net/1960.html
- Al-Hannūsh, Aḥmad, *al-Ḥajāj fī Adab al-Wifādāt ‘inda al-‘Arab fī al-‘Aṣr al-Umawī*, ‘Ālam al-Kutub al-Ḥadīth li al-Nashr wa al-Tawzī‘, Irbid, 2021.
- Khaṭṭābī, Muḥammad, *Lisānīyāt al-Naṣ*, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, Casablanca, 1991.
- Al-Zarkashī, Abū ‘Abd Allāh Badr al-Dīn, Muḥammad bin ‘Abd Allāh (d. 794A.H. / 1392A.D.), *al-Burhān fī ‘Ulūm al-Qur’ān*, edited by Yūsuf al-Mar‘ashlī, Jamāl al-Dhahabī and Ibrāhīm al-Kurdī, Dār al-Ma‘rifah, Beirut, 1990.
- Al-Ziriklī, Khayr al-Dīn bin ‘Alī bin Maḥmūd (d. 1396A.H. / 1967A.D.), *al-A‘lām*, 17<sup>th</sup> edition, Dār al-‘Ilm li al-Malāyīn, Beirut, 2007.
- Al-Sa‘dī, ‘Abd al-Rahmān bin Nāṣir, (d. 1376A.H. /1957A.D.), *Taysīr al-Karīm al-Rahmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān*, edited by ‘Muhammad Zahrī al-Najjār, al-Idārah al-‘Āmmah li al-Ṭab‘ wa al-Tarjamah, al-Ri’āsah al-‘Āmmah li Idārāt al-Buhūth al-‘Ilmīyah wa al-Iftā‘ wa al-Da‘wah wa al-Irshād, Riyadh, 1989.
- Patrick Charaudeau, *Arguments entre théorie et méthode*, translated by Aḥmad al-Wadarnī, in [www.oeabooks.com](http://www.oeabooks.com)
- Al-Shab‘ān, ‘Alī, *al-Ḥijāj wa al-Ḥaqīqah wa Afāq al-Ta’wīl*, Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah Beirut, 2010.
- Sūlah, ‘Abd Allāh, *fī Naẓarīyat al-Ḥijāj*, Miskīliyānī li Al-Nashr wa al-Tawzī‘, Tunisia, 2011.

- 
- Dayf, Shawqī, *al-Fan wa Madhāhibuhu fī al-Nathr al-‘Arabī*, 5<sup>th</sup> edition, Dār al-Ma‘ārif, Egypt, (d.n.).
- Abā ‘Allāl, Mawlūd, “*al-Lisānīyāt al-Tadāwulīyah wa Niżām al-Khaṭābah*”, M.A. thesis, Department of Arabic Language and Literature, Collage of languages and Arts, University of Jīlālī lybās, Sīdī Bal‘abbās, Algiria, 2016-2017.
- Al-‘Umarī, Muḥammad, *fī Balāghat al-Khiṭāb al-Iqnā’ī*, 2<sup>nd</sup> edition, East Africa, Morocco, Beirut, 2002.
- li-‘Azīz, Ja‘far, “*Taḥlīl al-Risālah al-Siyāsīyah min Ibn al-‘Amīd ilá Ibn Balkā: Muqārabah Balāghīyah Ḥijājīyah*”, *Awrāq Namā*, Markaz Namā’ li al-Buhūth wa al-Dirāsāt, in <https://nama-center.com>
- Mishbāl, Muḥammad, *fī Balāghat al-Ḥijāj*, Dār Kunūz al-Ma‘rifah, Morocco. 2016.